الثورة
الاثنين 8 ربيع الثاني 1434هـ 18 فبراير 2013م العدد (17623)

القمرية.. سحر العمارة اليمنية

رغم تباعد السنين واختلاف الأذواق وهجوم التطور العصري فقد حافظ العقد أو القمرية في اليمن على خصوصية الجمال المعماري والإبداع المميز. ويعم استخدام القمرية جميع أنماط العمارة سواء البيوت أوالدوائر الحكومية والمكاتب التجارية وغيرها. وهى عبارة عن شكل دائري أو نصف دائري شفاف من حجر الألباستر، سمكه واحد سم يثبت في فتحات أعلى النوافذ والأبواب. وقبل الشروع في تنفيذ العمل في فن القمرية، لا بد من تحديد المسافات والمقاسات بدقة ويتم استشارة صاحب المنزل عن ذوقه، ورغبته، والشكل واللون الذي المراد.

القمرية من الخارج التي تبدو في شكل نصف دائري يعلو النافذة الخشبية

والقمرية ابتدعها المعمار اليمني لتأمين الإضاءة الداخلية بعد إغلاق النوافذ الخشبية التي يترتب على إغلاقها ليلاً أو نهاراً فقدان الإضاءة الطبيعية وصفائها، ويرى بعض الباحثين أن سبب التسمية يرجع لبياضها الناصع الذي تتميز به، لأن النور الذي ينفذ منها يكون أبيض صافياً أشبه بضوء القمر، كما أن ألواح بعض النوافذ دائرية أشبه ما يكون شكلها بالقمر ليلة تمامه. وقد ضرب اليمنيون بسهم وافر في مجال فن القمريات (العقود) وبلغوا فيه حداً من التخصص على درجة عالية من الإبداع والتخيل، ومن روعة التصور وجمال فنون الزخرفة. وفن القمريات في الثقافة الجمالية اليمنية، هو الحركة الإبداعية الأولى في طريقة خطوات تكوين مفاهيم عامة عن الفن وملامحه اليمنية. كما هو الوسيلة التي لجأ إليها الفنان اليمني كلغة تخاطب بينه وبين فن الزخرفة. وفن القمريات هو الفن الذي تطور مع تطور الإنسان اليمني وثقافته البسيطة وتشكل مع التغيرات المستمرة، وأصبح مع التطور

قابلاً لتشكيل العناصر المستوحاة من الطبيعة ومن التراث الفني اليمني القديم. وفنان القمريات ينفذ أعماله على أنواع من الخامات وبأساليب جمالية متنوعة منها ما هو بسيط في أدائه ومنها ما هو أعمال رائعة وخالدة شديدة التعقيد في تراكيبها الفنية.وللحق فما دام هذا الفن قد شهد ترجمة لكل ما هو ممارس في ثقافة المجتمع اليمني منذ أمد طويل فإن جذوره تمتد امتداداً عميقاً في أغوار تاريخ الفن اليمني إلى جانب امتدادها الطبيعي في عمق الإبداع الشعبي اليمني.إن هذا الفن يأتي معبراً عن مرحلة ثقافية معاصرة له ويشكل بمفاهيمها وهو في تطوره يعود دائماً إلى المراحل السابقة عليه ثم يوظف وحداته الزخرفية في العناصر الثقافية الجديدة. إن أعمال فن القمريات دليل واضح للذكاء الحسي للفنان اليمني المبدع).

وتؤكد الدراسات العلمية أن القمرية تضفي مسحة رائعة على المنزل اليمني من الخارج، وقد تفنن الحرفيون في ابتكار عقد مزدوج أحدهما داخلي وهو المزخرف والآخر خارجي وتغطي فتحاته الزخرفية بالزجاج الأبيض الذي يمكن تنظيفه بسهولة. وتصنع القمرية في بعض مناطق اليمن من المرمر الشفاف خصوصاً القريبة من صنعاء، ويلاحظ الزائر لأية مدينة أو قرية يمنية أن القمرية لازمة أساسية في المعمار سواء كان قديماً أو حديثاً وسواء كان صاحبه غنياً أم فقيراً، وتحولت القمرية إلى لوحة فنية غاية في الجمال. ويمثل هذا الفن المعماري قمة التراث الشعبي الذي عرفه الشعب اليمني منذ أقدم العصور وقد ظل يتوارثه الأبناء عن الأجداد وفي التاريخ اليمني إشارات لعائلات مشهورة برعت في هذا الفن، وصناعة القمريات هي في الأساس عملية فنية، تتم عن قدر كبير من الإحساس العقلي والوجداني بتذوق الفن، ويتمثل قمة إبداع صانع القمريات أو "المجصص"(كما يطلق عليه في صنعاء) وبراعته إذا عرفنا أنه يستخدم داخل ورشته آلات بسيطة وبدائية لا تتعدى السكين وبعض آلات الحفر الأخرى، لكن يخرج من كل هذا بأشكال فنية وزخرفية رائعة الجمال ومتعددة الأشكال، فكيف يستطيع هذا الفنان أن يخرج من الأحجار التي أمامه لوحات فنية رائعة تتزين بها المنازل، وتدخل على النفس البهجة والانشراح.

طريقة صنع القمريات وتركيب الزجاج الملون

القمرية قبل تركيبها بالواجهة المعمارية

القمرية بعد تركيبها بالواجهة المعمارية

القمرية من الداخل والخارج وأثرها على الجمال الداخلي للمكان.

كل القمرية بداخل المنازل اليمنية وتأثيرها الجمالي

د / ليلى الشيباني
الأستاذ المساعد بكلية الفنون الجميلة
جامعة الحديدة
ورئيس قسم التصميم الداخلي

مجازاً كالزنجبيل

زياد السالمي

هي الآن صفراء
كالزنجبيل الذي تبخلين علي به
مع تقديمك القهوة اليمنية لي في
المجاز
كما الطقس لم يبدِ أي اعتدالٍ
أمامي
ظلامٌ شديدٌ يطيل المسافة
لم يضئ الليلةَ القمرُ الليلَ
واحتج بالابتسامة
لما مجازاً رأيت تلألؤه ذات يومٍ على
شفتيك
وقلت له مازحاً من هناك يغيب
اكتمالك :
لؤلؤةٌ تتناولها اليد تغنيك
من أي لؤلؤةٍ تتناولها العين
مهما يكن حجمها ...
ونسيت الذي دار آنئذٍ بيننا
ثم سرت إليك على ومضها
غير أني أرى الآن عكس الذي كنت
أأمل
كيف إذن كلما زدت قرباً
وجدت ضياءهما عن غدي صار
يأفل
قبل انتصاف الطريق
ومنتبهاً :
أنني لست ممن يحب معانقة الآفلين
.

مغامرة الفكر الأوروبي

أصدر مشروع "كلمة" للترجمة التابع لهيئة أبوظبي للثقافة والتراث كتابًا جديدًا بعنوان "مغامرة الفكر الأوروبي" للباحثة والأستاذة الفرنسيّة الدكتورة جاكلين روسّ ، نقلته إلى العربية الأستاذة أمل ديبو.

يفتح هذا الكتاب أمام القراء العرب مجال الدّخول إلى التركيبة العقليّة الأوروبّية كما تنظر هي إلى ذاتها وتقرأ تاريخها وتحلّله وتدرس تسلسله، ففي ظلّ ما يفرضه التفاعل الحضاريّ في عالم اليوم من تواصلٍ جعل الانفتاح على الآخر شرطاً ضرورياً للتقدّم والمشاركة في صنع الحاضر والمستقبل أصبح من الأهمية بمكان أن تسبر الذات فكر الآخر ويتفهّمه وأن تتلاقح الحضارات بسعي مستنير لتفادي الصراعات الحضارية وعواقبها الوخيمة، ولا يقتصر الانفتاح الثقافي على تبادل المستجدّات من الآراء والأبحاث الفكريّة والعلميّة بل يتعدّاه عمقاً ليصل إلى التعرّف إلى المكوّنات الأساسيّة لعناصر فكر الآخر في جذورها والبحث فيها. يشكّل هذا العمل عرضاً وافياً لمسار الفكر الأوروبّي منذ تكوينه وحتى القرن العشرين بدرجة عالية من المسؤوليّة والجدّية والاكتمال. وإلى جانب غنى المادة التي يحتويها ووفرة العلم والمعلومات التي يقدّمها فإن العرض الذي ظاهره سرديّ ينتظم في مقاربة تظهر التفاعل بين الطبيعة والكون من جهة وعمل الإنسان الفكريّ الدينيّ والحضاري فيها من جهة أخرى.

إنه كتاب مدخل، تبرز فصوله المحطّات المهمّة في مسار الأفكار الغربيّة. من خلال عرض ثاقب، وتحليل مفصّل وعميق بلغة واضحة ودقيقة تعطي جاكلين روسّ ملخّصاً فريداً من نوعه: هو لوحة كاملة لعالم الفكر الغربيّ وفق مراحله المفصليّة عبر العصور. فهو بمثابة رحلة عبر تكوين الفكر الغربيّ وتطوّره، إذ يصف انطلاقة التيارات الكبرى المؤسّسة للفكر الأوروبّي، و يعرض لحوار الأفكار في ما بينها وديناميكيتها، وصولاً الى تمزّقات زمننا الحاضر وإعادة تركيبه.

توضح المؤلِفة "أن تطور الحضارات يبرز في مجموعة من الأفكار تمثل قدرة الإنسان على توجيه كيانه، ووجوده ومصيره. وما قدرة الإنسان اليوم المتعاظمة والمستفحلة إلا حصيلة بناء متصاعد، توليفيّ أو تصادميّ بين الأفكار والمواقف من جيل إلى جيل. لقد حصرت المؤلِفة عرضها هذا في القارة الأوروبيّة العتيقة مما يدعو الباحثين والعلماء إلى العمل على استكمال الصورة والتوسّع خارج الحدود الجغرافية ليضيفوا إليها مساهمات العوالم المجاورة والفاعلة في تطوّر الفكر الأوروبّي والتي يهمّنا منها بصورة خاصة إسهامات الحضارة العربيّة والإسلاميّة.

شكّلت ترجمة هذا العمل الأكاديمي الجدّي المكثّف والمعمّق تحدّ كبير بالدرجة الأولى من حيث المصطلحات. لذلك يضمّ الكتاب ملاحق ثمينة تثبت المصطلحات الأساسية والضرورية لمتابعة الفكر الأوروبي في تطوّر مفاهيمه الفلسفية كما يضمّ فهرسًا مفصّلاً للمحتويات وأيضًا لائحة بالمصادر وفهرسًا للأعلام.

إن حاجة المكتبة العربية كبيرة لكتاب يتناول الفكر الأوروبّي في جذوره وتطوراته ويكون جامعاً دقيقاً ومفصّلاً في الوقت نفسه. وقد أتت ترجمة عمل الباحثة في الفلسفة والمؤلِفة الموسوعيّة ، جاكلين روس، لتضيف إلى المكتبة العربيّة كتاباً أساسياً منهجيًا تعليميًا يسرد تطور الفكر الأوروبي متتبّعاً نتاج أعلامه، موضحاً أحياناً سياقاً جدليًا مظهراً الانقلابات والثورات الفكرية، وكاشفاً أحياناً أخرى سياقاً انسيابياً مستفيداً من التتابع والتواصل بين الأفكار والتيارات الفكريّة. وفي الحالتين الجدلية والانسيابية تظهر المؤلِفة مدى الديونيّة التي يحملها الجديد بالنسبة للقديم رفضاً أو قبولاً، نفياً أو تأكيداً لتنتهي إلى عصرنا الحاضر حيث يسائل العقل ذاته فتشير إلى إشكالياته، حدوده ، ريبته، والتحديات التي يواجهها.

من خلال بحثها توضح الكاتبة للأجيال القادمة أهمية القراءة الواعية والعميقة لما ورثوه من فكر وحضارة، وهاجسها تعزيز الانسجام والوحدة في غناها وقدرتا على تكوين الذات.

وهذا المنحى في البحث مهمّ بالنسبة للقارئ العربي لأمرين:

أولا: الخدمة التي يؤدّيها لكل طالب وباحث ودارس ومفكر من أجل الانفتاح على الآخر والتعمّق بمعرفته والتواصل معه بغية المشاركة في صنع لا أوروبّا فحسب بل في صنع مصير العالم الذي أصبح اليوم متّحداً في السرّاء والضرّاء.

ثانيا: التحفيز على الانكباب على غنى التراث الفكري العربي، فإن هذه الدراسة للموروث الفكري والحضاري، تساؤلاته والتحديات التي يثيرها، تشكل نموذجاً ليته يصار إلى مثله لسرد قصّة الفكر العربيّ بما فيه من روافد وإبداعات ومساهمات في صنع المصير الإنسانيّ.

وضعت هذا الكتاب الكاتبة والمؤلفة الموسوعيّة، جاكلين روس وهي أستاذة جامعيّة تعدّ الطلاب لامتحان الإجازة في الفلسفة. تحمل دكتوراه في الفلسفة والعلوم الإنسانية. لها مؤلفات عديدة باللغة الفرنسية، في الفلسفة وتاريخها وتطوّرها وطرق تعليمها، كما أنها وضعت قاموساً فلسفيًا. حالياً تعدّ كتاباً في عدّة أجزاء يغطّي تاريخ الفلسفة وأيضًا مجموعة أخرى تدرس فيها تاريخ الفكر.

مترجمة الكتاب أمل ديبو، أستاذة في الجامعة الأميركيّة في بيروت وتدرّس باللغة الانكليزية الحضارات في حقبات أربع، العصور القديمة، العصور الدينيّة، عصر النهضة الأوروبيّة وعصر التنوير وصولاً إلى القرن العشرين. وهي باحثة ومحاضرة في مواضيع ثقافيّة، تربويّة، فنيّة واجتماعيّة. لها مقالات نقدية وفكرية وفنيّة نشرت في جرائد ومجلات محليّة وأجنبيّة وترجمات عديدة .

الشعر والتلقي

عمّان /

صدر للشاعر والناقد العراقي المعروف الدكتور علي جعفر العلاق طبعة خاصة لثلاثة كتب نقدية مهمة هي: الشعر والتلقي، والدلالة المرئية، وفي حداثة النص الشعري.

لقد أثبتت قراءات عليّ جعفر العلاّق، لنماذج من الشعر العربيّ المعاصر، أنّ المقاربة التناصّيّة ضرورة منهجيّة دون الانقطاع عن اللّغة باعتبارها الأساس المرجعيّ للجماليّة الأدبيّة، مع الانفتاح على الدلالة الّتي هي موضوع البنية النصّيّة في ذاتها، وإمكانات القراءة الواصفة المُفكّكة المتأوّلة، قصد الوصول إلى دراسة المُشْتَرَك الجماليّ بين مختلف الملفوظات الأدبيّة خارج الثّنائيّة التقليديّة القائلة بالتفريق القسريّ بين الشعر و النثر.

• الشعر والتلقي

يفتح الدكتور علي جعفر العلاق الباب واسعاً أمام الباحثين للخوض في موضوع الكاتب- التلقي، فالشعر عنده ليس نصاً دون معنى إذ أن القصيدة ليست مغامرة لغوية وخروج عن عاداتها المألوفة، بل هي تنطوي على معنى. كما أن شعرية أية قصيدة لا تقع خارج نصها، بل تكمن في قدرة الشاعر على انتهاك الثوابت، القول وعادات التعبير المتعارف عليها.

والقصيدة كما يراها المؤلف محاكاة للحياة خارج النص، واقتراب من تفاصيل ذلك الواقع غير النصي قدر الإمكان، أو الشاعر يحاول من خلاله أن يحكم صلته بالواقع من جهة، وأن يحوله من جهة أخرى إلى واقعه نصية أو لسانية. أما في إطار بحثه لموضوع القناع في الشعر العربي الحديث، فيرى المؤلف أن شعراء عديدين أمثال البياتي، أدونيس، عبدالصبور، وسعدي يوسف قد أفادوا من تلك التقنية وتمكنوا من أن يصلوا بالقصيدة إلى مستوى لم يكن قد بلغوه من قبل، من حيث القدرة على التعبير والابتعاد عن هشاشة الإنشاء والإفراط في البوح.

وهو يعرف القناع بأنه رمز يتخذه الشاعر ليضيف على صوته نبرة موضوعية، ويأخذ هذا الرمز شكل الشخصية التاريخية غالباً والتي تنجز حديثها بضمير المتكلم، والقناع . بحسب قوله . يتميز عموماً بالحديث الشخصي أو المونولوج. ويذهب أيضاً إلى أن شعراء الحداثة العرب قد حاولوا تحرير نصوصهم الشعرية من سطوة المشاعر الرومانسية والمواقف الغنائية السائدة، عن طريق استخدام ما وجدوا أنه أكثر الوسائل ملائمة للتعبير عن عنائهم الروحي، وهو الاستخدام الناضج للشخصيات التاريخية كأقنعة.

• الدلالة المرئية

إن القصيدة مهما غامرت في البحث عن التقنيات، ومهما نوّعت في اجتهاداتها في الأداء تظل جهداً إبداعياً يتجسد في اللغة أولاً، ويسعى من خلال اللغة إلى البرهنة على جدواه وحيويته ثانياً. وهنا لا بد من بيان أن اللغة الشعرية لا تتجه إلى هدفها داخل النص، في خط مستقيم، يمتثل للأعراف دائماً ويسعى إلى التطابق معها باستمرار، لذلك فإن هذه الدراسة التي تتناول الدلالة المرئية في القصيدة الحديثة، هي محاولة لملامسة نقاط التماس أو التنافر بين اللغة وضغط الذاكرة الشعرية من جهة، وما تقترحه الحياة على اللغة من تلوينات من جهة أخرى.

فاللغة حركة تقوم في أحيان كثيرة، على مشاكسة السائد ومراوغته، والتخلص منها لترتقي إلى مستوى من الأداء يغذي فاعلية القصيدة وينعشها بالكثير من المفاجآت والتنويعات في أساليب القول الشعري. من هذا المنطلق كان للباحث في هذه القراءات وشعرية القصيدة الحديثة، حيث تمحورت هذه القراءات حول النقاط التالية: شعرية العبث والتهكم، حوار النصوص الشعرية، مرثية الصداقة الآفلة، الدلالة المرئية، وسردية النص الشعري.

• في حداثة النص الشعري

يمكن القول إن أهم ما أنجز على مستوى حداثة القصيدة العربية، لا يكمن في خروجها عن إطار البيت أو القافية الواحدة، أو على أهمية هذا الإنجاز وخطورته، بل يتمثل في أمر آخر هو الجوهر في قضية التجديد في الشعر العربي الحديث، وفي شعر العالم كله عموما: الرؤيا الحديثة التي تجسد فعل التجديد حقاً، والتي تشكل في حقيقة الأمر، مسعى يستهدف الشاعر لا القصيدة، أي أنها تعني بتجديد الشاعر أولاً: وعياً، وثقافة، وذائقة، ونظرة إلى الحياة والعالم، قبل أن تعني بتجديد النص.

يعالج هذا الكتاب موضوع الحداثة في النص الشعري عبر خمسة فصول، تطرق فيها المؤلف لحداثة النص المتمثلة بحداثة الرؤيا، وكذلك إلى الشاعر الحديث ورموزه الشخصية، إضافة إلى حدود البيت وفضاء التدوير، ومن ثم تناول المؤلف الشعر خارج النظم وداخل اللغة، ليتوقف في الفصل الأخير مع الشاعر والحلم والمدينة.